

م الموضوعات متنوعة - دورات للطلاب الأجانب - دورة عام ١٩٩٨ - عقيدة - الدرس (١٠) -
الدرس (١١) : صوت الشيطان (الموسيقى).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٧-١٩٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.
اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، يا رب العالمين.

صوت الشيطان الموسيقا

إن مرافقة الموسيقا لِإنسان هذا العصر
بدءاً من استيقاظه، وأثناء طعامه، وفي
حله وترحاله، وحتى أثناء عمله، يشكل
ظاهرةً تستحق منا وقفة...

لقد شاعت حكمة الله عز وجل أن يكون
لإنسان في رحلته الدنيوية أبعاداً عدّة،
فهناك بُعد مادي بكل تعقيداته،
و حاجاته، وهناك بُعد نفسي خطير بما
يحمل من إرادة ومشاعر، ويتبادل هذان



مرافقة الموسيقا لِإنسان هذا العصر ظاهرة تستحق منا وقفة

البعدان التأثير، وهناك ارتباطات ونواخذ تصل بينهما، فعلى مستوى المشاعر: خلق وجه الإنسان
مجهاً بالآلية عضلية، تُتصحّح عن المشاعر المختلفة، فالوجه مرآة للنفس والダメع على سبيل المثال
يخرج من أكثر الأماكن وضوحاً؛ ليعبّر بشكلٍ صارخ عن شعور نفسي داخلي.
وكذلك الصوت له قدرة كبيرة على نقل المشاعر، والملاحظ أن الكلمة الواحدة تعبر وتؤثر بشكل
مختلف إذا اختلفت طريقة نطقها، فمثلاً: قول لا (أدرني) بصوت غاضب قد يزعج المستمع، بينما
قولها بصوت لطيف قد يسبب راحة واطمئناناً، إذا فالصوت وسيلة تنقل المشاعر كما تنقل
المعلومات.



والحياة بما فيها من مخلوقات تتضمن
أحداثاً تتراافق مع أصوات تثير في
الإنسان المشاعر المختلفة، فمن شعور
من ضحكة طفل، إلى شعور بالرهبة

صوت الشيطان (الموسيقى).

من صوت الرعد، إلى شعور بالإنكار من صوت الحمار.
وانظر إلى صوت بكاء الطفل، كم يثير في الإنسان من مشاعر الشفقة والعطف فيندفع إلى تلبية احتياجاته.

وانظر إلى صوت الأم الدافئ، كيف يغير حال الطفل من القلق إلى شعور بالطمأنينة، والأمان، فيهداً وينام.

فالصوت إذاً يتراافق مع الحدث، فينفلت شعوراً، يحول الإنسان من حالة ركود، إلى حالة انفعالية، تدفعه نحو اتخاذ موقف ما.

وقد أشار الله تعالى إلى قدرة الصوت على نقل المشاعر إلى المستمع ومن ثم التأثير به، قال تعالى:

﴿بِإِيمَانِ النَّبِيِّ لَسْتُمْ كَاحِدٌ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِّي أَتَقِيُّنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعُوا﴾

الذى في قلبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾

[سورة الأحزاب]

والحقيقة أن كلام المرأة قد لا يحمل أي معنى يستدل منه على الخضوع ولكن نغمة صوتها، وطريقة كلامها، قد تنقل إحساساً بالخضوع إلى السامع، فتؤثر فيه، فيطمع. إذاً فإنارة الطمع لا تتطلب معلومات، أو كلمات خاصة، وإنما تتطلب نغمة صوت معينة، فإذا استطعنا أن نقلد هذه النغمة موسيقياً، فإننا سنثير في السامع شعوره الغريزي، من دون وجود السبب الحقيقي لذلك.

إذاً فقد ارتبط الصوت في الذاكرة، مع شعور معين ناتج عنه، فكلما سمعنا هذا الصوت، عاوناً الشعور نفسه.

والآن إذا أردت أن أثير فيك شعور الرهبة، أخذ لك صوتاً من طبيعة إثارة الرهبة في النفوس ؛ وبضع ضربات قوية ومدروسة على طبل، كانها صوت الرعد، متراقة مع صرخات بوق ناعق، يشبه صوت العواصف والزوايا، ستجد نفسك تشعر بالخوف،

صوت الرعد يسبب خوف واضطراب

صوت الشيطان (الموسيقى).



صوت الأم يهدى الطفل فينام



والاضطراب، اللذان يسببهما حدث الرعد الحقيقي، أثناء العاصفة.

إذاً فالنفس هنا خُدعت، وأُجبرت على الشعور بالخوف، من دون وجود ما يدعو لذلك حقيقة، وقد استغلت تلك القدرة على الخداع، والإيهام في التلاعب المشاعر من قِبَل مَنْ يُسَمَّون موسقيين، أو ملحنين، فأصبحوا يثيرون مشاعر الناس، كيف يشاؤن.

وعندما ينفع الإنسان، ويتأثر، فإنه يضيف الحركة إلى التعبير بالصوت، مما يساعد على إفراط شحنة التأثير والانفعال لديه، فإذا غضب أو حزن، فإنه يحرك يديه ورأسه، وقد يكون جالساً فيقف.

وللموسיקה – كما ذكرنا – قدرة على إيهام النفس، والتأثير عليها وتحريك غرائزها، وقد تحمل أحياناً شحنة هائلة مصطنعة، تدفع المستمع المتأثر إلى تفريغها، لا بتحريك الرأس أو اليدين فقط، بل إلى تحريك الجسد كله بشكل هستيري، يُسمى رقصاً!!.

إن خداع المشاعر يمكن أن يتم بطريقتين أخرى، باستخدام كيماويات مصنعة هي المخدرات، فإنها تؤثر بشكل مباشر وقوي على المشاعر من دون سبب حقيقي يدعو لذلك، فالإنسان بطبيعته دائم البحث عن السعادة ولكن حالة الضلال والغفلة لا يوجد فيها سبب واحد من أسباب السعادة الحقيقية، فهروباً من هذه الحالة، وبدلاً من



معالجة مشاكله الحقيقية، يحقن جسده بالمخدرات، ليعيش في عالم وهمي، من السعادة والتقوّق. إن العلاقة بين الجرعة المخدرة، وبين المشاعر، تشبه العلاقة بين الموسيكا وما تثيره من مشاعر كاذبة، فهي كلتا الحالتين لا علاقة للمشاعر بالواقع، فهي في واد، والمشاعر في واد آخر، ولا ينتج عنها إلا مزيداً من الضياع والشتت، وبعد عن الحق، ومدمنوا هذه الوسائل، يشتراكون بالنظرية العبثية للحياة، فواحدهم لا يعرف لماذا يحزن، أو لماذا يفرح ؛ لأنّه لا يعرف أصلاً أن هذه القدرات على التأثير، إنما خُلقت كي تدفعه للوصول إلى السعادة الحقيقية عن طريق الحق، إلا أنه ارتضى لنفسه سعادة وهمية، وارتضى لقلبه أن يصبح ريشة في مهب الريح، فيفرح ويحزن ويتفاعل من دون وجود أي سبب حقيقي لذلك.



والإنسان البعيد عن الله، لا يكتفي بأن يتخذ جهةً ما أو شخصاً ما ملجاً من دون الله، ولكنه قد يتخذ هذه الوسائل الكيماوية، او الموسيقية ملجاً يلوذ بها، فهو يريد الهرب من مشاعر الضجر، والقلق، والضيق التي تحاصره، بدل اللجوء إلى خالقه المغيث، المجيب، الرحيم.

قال تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هُوَاهُ وَأَضْلَلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٣)

[سورة الجاثية]

إن الذي لا يفرح ولا يحزن ليس إنساناً، والمؤمن ذو ذوق جمالي رفيع يرى الجمال في الحق والخير، وهو يحترم نفسه ومشاعره، فهي مشاعر مقدسة، ذات غايات نبيلة، خلقت لتسمهم في تفاعل الإنسان مع الحياة وتغير حاله بشكل فعال، فيرقى بمشاعر الحزن الخالق، والقلق المقدس والرحمة بالخلق، والتعاطف معهم، والفرح بالطاعة، ويسعد برضوان الله وفضله، والقرب منه. لقد عرف المؤمن أن تحريك المشاعر بهذه الطريقة، والتلاعب بها دون أي رصيد من الواقع والحق، ما هو إلا احتيال وهروب، مع أن العيش في الواقع ومواجهته – وإن كان مرآً – خير ألف مرآة من العيش في الوهم، وإن بدا مريحاً.

والموسيقا ترسيخ للمشاعر الزائفة، على حساب المشاعر العفوية الصادقة، والإسلام يكره الزيف والخداع، ويبغض الاستهلاك الرخيص للأشياء الثمينة، كاللوقت والمشاعر، ويرفض إخراجها عن أهدافها السامية.

هذا ولابد – بالإضافة لكل ما سبق – إلى أن نعود في دراستنا هذه، عن الموسيقا إلى النصوص الشرعية الواردة في ذلك الشأن، والتي تعتبر هي الأصل في إثبات حكم الحلال والحرمة لما نحن بصدده دراسته.



المؤمن يفضل الواقع على الوهم المريح

نريد الآن أن نستعرض بعض النصوص التي حسمت أمر هذه المسألة التي كثُر فيها الكلام، قال تعالى مخاطباً إيليس:

﴿وَاسْتَفْزِرْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأُمُوَالِ وَالْأُولَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٦٤)

[سورة طه آية ٦٤]

صوت الشيطان هو المزامير على قول مجاهد، وابن عباس والضحاك وقال تعالى:

﴿وَمَنِ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثُ لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَخَذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (٦)

[سورة لقمان]

قال الحسن البصري: "لهو الحديث هو المعازف، والغناء".
وقال مجاهد: "الغناء والمزامير".

وأما السنة الشريفة: فالأصل في هذا الباب هو ما رواه الإمام البخاري:

((عن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليكون من أمتي أقوام يستحلون الحر (الزنا) والحرير والخمر والمعازف وليتزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارة لهم يأتيهم يعني الفقير لحاجة فيقولون أرجع إلينا غدا فيبيتهم الله ويضيع العلم ويمسخ آخرین قردة وخنازير إلى يوم القيمة . وفي لفظ ليشرين ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يُعرف على رؤوسهم بالمعازف والمقفيات، يخسف الله بهم الأرض، يجعل منهم القردة والخنازير))

وهناك مجموعة أحاديث شريفة صحيحة، نوردها فيما يلي:

((عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: مزمار عند نعمة ورنة عند مصيبة))

وقال عليه الصلاة والسلام:

((عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله حرم عليكم الخمر والميسر والكوبية (وهي آلة تشبه الطبل) وقال كل مسکر حرام))

[أخرج البخاري في الإيمان، ومسلم في الإيمان والأشربة، والترمذى والناسى وأبو داود والدارمى]

وقال عليه الصلاة والسلام:

((يكون في أمتي قذف، وخشف، ومسخ قيل يا رسول الله: ومتى ذاك؟ قال: إذا ظهرت المعازف، وكثرت القيان وشربت الخمور))

وقال عليه الصلاة والسلام:

صوت الشيطان (الموسيقى).

((عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبِعُوا القيَّنَاتِ ولا تَشْتُرُوهُنَّ وَلَا تُعْلَمُوهُنَّ وَلَا خَيْرٌ فِي تِجَارَةِ فِيهِنَّ وَشَمَّهُنَّ حَرَامٌ فِي مِثْلِ هَذَا أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إِلَى آخر الآية))

[أخرجه الترمذى واللطف له، وابن ماجة وأحمد]

وفي رواية:

((حتى إذا فرغ من الآية قال: والذي بعثني بالحق، ما رفع رجل عقيرته بالغباء، إلا بعث الله عز وجل عند ذلك شيطانين يرتفقان على عاتقه، ثم لا يزالان يضربان بأرجلهما على صدره، حتى يكون هو الذي يسكت))

وهذه كلها أحاديث صحيحة صريحة في تحريم المعازف، وآلات اللهو فليدع القول بحلها أولئك الذي يريدون تسهيل الدين على الناس، وليعلموا أن ما شرعه الله عز وجل، هو عين المصلحة لعباده.

هذا ومن المناسب أن نتكلم عن حديث أبي داود، الذي رواه عن ابن عمر رضي الله عنه: ((أنه – يعني ابن عمر – كان معه نافع، فمر براع معه زمار، فجعل أصبعيه في أذنيه، وجعل يقول أتسمع يا نافع ؟ فلما أخبره أنه لا يسمع رفع أصبعيه من أذنيه وأخبره أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم فعل مثل ذلك))

يقول ابن حزم وأتباعه في التعليق على هذا الحديث: لو كان الم Zimmerman حراماً سماعه لما أباح عليه الصلاة لأن عمر سماعه، ولو كان عند ابن عمر حراماً لما أباح لنافع سماعه، والجواب على هذا:

١— أن المحرّم هو الاستماع لا السماع، والفرق بينهما ؛ أن الاستماع فيه مشاركة، وأن يبادر المرء إلى آلة التسجيل ليستمع، أو أن يذهب بنفسه إلى مكان يُعزف فيه، أما السماع فهو من غير قصد، وذلك لأن يعزف إنسان في الطريق فيسمع صوت العزف، أو أن يركب سيارة أجراة فيسمع وهذا لا حرج عليه فيه ؛ لأنه ليس من فعله هو ولا من قصده، ومن هذا القبيل كان سماع ابن عمر ونافع.

٢— أن النبي صلى الله عليه وسلم سد أذنيه مبالغة في التحفظ، حتى لا يسمع أصلاً، فيتبين بذلك أن الامتناع عن السماع أفضل إن استطاع ذلك.

((عن عائشة قالت دخلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَيَّبَانِ بِعَنَاءِ بُعَاثَ فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ عِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ دَعْهُمَا فَلَمَّا غَفَلَ غَمَرْتُهُمَا فَخَرَجْنَا وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرْقِ وَالْحِرَابِ فَإِمَّا سَأَلْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَإِمَّا قَالَ تَشْتَهِيْنَ تَنْظُرِيْنَ فَقُلْتُ نَعَمْ فَأَفَامْنِي وَرَاءَهُ خَدَّيْ عَلَى خَدَّهِ وَهُوَ يَقُولُ دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفَدَهَا حَتَّى إِذَا مَلِّتُ قَالَ حَسِبَكِ فَلَتُ نَعَمْ قَالَ فَادْهَبِي))

[آخره البخاري ومسلم والنسائي وأبي ماجة وأحمد]

يقول الإمام ابن حجر في كتابه فتح الباري: استدل جماعة من الصوفية بهذا الحديث على إباحة الغناء وسماعه بالله وبغير الله..! والحق أن دلالة الحديث لا تخرج عن أمر إباحة الدفوف، وليس في الحديث ما يدل على إباحة المزامير ؛ لأن الجاريتين لم تعرفا بالمزامير. ومعنى كلمة مزمار الواردة في الحديث هو: الصوت الحسن بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع أبا موسى الأشعري يتلو القرآن بصوته الحسن قال له:

((عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيْتَ مِنْ زَمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاؤِدْ))

[آخره البخاري ومسلم والترمذني]

بقي لنا في هذا الموضوع كلمتين:

إداهما: أن الإسلام حرم التداوي بالموسيقا ؛ لأنه لا يعقل أن يحرم الله شيئاً ثم يجعل فيه شفاءً، ذلك لعموم قوله عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب شراب الحلواء والعسل وقال الزهراني لا يحل شرب بول الناس لشدة تنزل لأنه رجس قال الله تعالى:

﴿أَحَلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾

وقال ابن مسعود في السكر إن الله لم يجعل شفاعكم فيما حرم عليكم .



ويقول الإمام البهوي في كتابه كشف النقانع: ويحرم تداوى بمحرّم أكلًا وشربًا، وكذا صوت ملهاة، وغيره كسماع الغناء.

الثانية: أن الإسلام قد وضع من قيمة من يكون العزف والغناء دينه وعادته، فلم يقبل له شهادة على واقعة، لأنه مخالف للعدالة لمهنته المحرمة.

ويقول الإمام الكمال بن الهمام في شرحه على كتاب الهدایة في الفقه الحنفي: ولا تُقبل شهادة من يلعب بالطنبور . ويقول الإمام ابن قدامة في كتابه المغني في الفقه الحنفي: ومن كانت صناعته محرمة كصناع المزامير والطناشير فلا شهادة له.

والحقيقة أن المسلم في غنى عن كل هذا ؛ لأن واجباته أكثر من أوقاته وأما مَن تاقت نفسه إلى هذا، فليطرب بالقرآن، وبالنشيد الإسلامي الموجه وليرك ما حرم الله، فمن ترك شيئاً الله عوّضه الله خيراً منه في دينه ودنياه.
جعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنها.

والحمد لله رب العالمين